

اختلال المفاهيم الأخلاقية وتداعياتها الاجتماعية

دراسة تاريخية لغوية في ضوء ثوكيديديس

The distortion of the concepts and ethical principles and their consequences...A linguistic historical study in the of Thucydides.

د/ علي إبراهيم علي جمعة

بقسم التاريخ- كلية الآداب جامعة عين شمس

ali.gomaa@art.asu.edu.eg

الاستلام: 2025 / 10 / 25 تاريخ القبول: 2025 / 12 / 02 تاريخ النشر: 2025/12/16

Abstract : This paper focuses on the reasons for the outbreak of revolutions in the ancient Greek cities. These factors are varied between political, military, and economic. Thucydides concentrates particularly on the distortion of the concepts and ethical principles during revolutions and their consequences on the society and citizens. The research draws out significant conclusions that state that Thucydides had linked the disturbances in the ancient Greek cities and their moral consequences on the society. That is to say, the breakdown of these principles had an effect on the increasing violence and animosity within the ancient Greek societies. The methodology of this research is based on the

المؤلف المرسل: علي إبراهيم علي جمعة

البريد الإلكتروني: ali.gomaa@art.asu.edu.eg

study of the linguistic aspect of Thucydides, which helped us to recognize the analytic method of Thucydides in dealing with this phenomenon and its dire consequences..

Keywords: Revolutions, Greek Cities , Distortion of Concepts, Ethical principles

الملخص :

يتناول هذا البحث رؤية ثوكيديديس التحليلية لثورات المدن الإغريقية، والتي ناقش فيها العوامل المختلفة لقيام هذه الثورات، من عوامل سياسية وعسكرية واقتصادية. ويركز بشكل خاص على قضية اختلاف وتبدل القيم والمفاهيم الاجتماعية والأخلاقية خلال الثورات، وما يترتب على هذه الظاهرة من تداعيات على المجتمع وأفراده. وقد توصل البحث إلى نتائج هامة تؤكد أن ثوكيديديس قد ربط بين الاضطرابات التي تعرضت لها المدن اليونانية وما أدت إليه من تداعيات أخلاقية على المجتمع، فكان تداعي هذه القيم له أبعد الأثر على تنامي العنف والعداء داخل المجتمعات اليونانية القديمة. وقد ارتكزت منهجية هذا الباحث على دراسة البعد اللغوي عند ثوكيديديس والتي ساعدتنا على تلمس ملامح المنهج التحليلي عند ثوكيديديس في تقصي هذه الظاهرة وما ترتب عليهما من تداعيات خطيرة.

الكلمات المفتاحية : ثوكيديديس، الثورات، المدن الإغريقية، اختلال

المفاهيم، القيم الأخلاقية.

-مقدمة:

يرتكز هذا البحث على محاولة تقديم رؤية ثوكيديديس التاريخية التحليلية عن الثورات في التاريخ الإغريقي. حيث انصب الاهتمام في هذا البحث على الجوانب التحليلية العميقة التي قدمها ثوكيديديس في النص التحليلي الخاص بالثورات. وناقش هذا البحث أيضا الأسباب التي جعلت هذا النص على درجة كبيرة من الأهمية. ثم تساءل البحث عن طبيعة العلاقة المحورية التي رصدها ثوكيديديس بين اندلاع حروب البيلوبونيز وبين قيام الثورات في العديد من المدن الإغريقية.

ثم تناول البحث بالتحليل هذه العلاقة المركبة والمتشابكة بين الثورات والصراعات الداخلية للمدن الصغرى الإغريقية وبين التدخلات الخارجية للقوى الكبرى في هذه الاضطرابات السياسية، وأهم الأساليب والسياسات التي دأبت القوى الكبرى، وبخاصة أثينا، على اتباعها لضمان تدخلها وتأثيرها المستمر على هذه المدن الصغرى.

وعالج البحث ما ذكره ثوكيديديس من تأملات تحليلية وشمولية عن هذه الثورات التي اندلعت في العالم الإغريقي، ومحاولة ثوكيديديس أن يتخذ من دراسة النماذج المختلفة لهذه الثورات قاعدة متينة تفسر الثورات في العالم الإغريقي وفي التاريخ الإنساني، والتداعيات الوخيمة التي أحدثتها ظروف الثورة على المجتمعات الإغريقية، وانعكاس الأحوال الاقتصادية والظروف النفسية على المدن والأفراد، وعلى السلوكيات الاجتماعية بشكل عام. وناقش البحث أيضا تناول علماء اللغة اليونانية القديمة والباحثون لهذا المحور الهام عند ثوكيديديس واستحداث مفاهيم جديدة تواكب تقلبات الثورة.

1- مقدمة عن ثوكيديديس.

إن كتابات المؤرخ ثوكيديديس تعد إنجازا هاما للفكر التاريخي الإغريقي، فقد استطاع بتحليله للأحداث أن يرفعها إلى درجة إنسانية خالدة وأن يتتبع أطراف الصراع إلى جذوره الأصلية وأن يتعمق بتحليلاته إلى أعماق النفس البشرية فيحول الوقائع اليومية إلى مواد تاريخية كما استطاع بعبقريته الفذة أن يكشف النقاب عن القوى الخفية التي كانت تحرك الأحداث¹.

فقد عاصر ثوكيديديس الحروب البيلوبونيزية وشاهدها، بل شارك فيها كأحد القادة الأثينيين، فنحن إذن أمام شاهد عصر معاصر، بل ومشارك في هذا الحدث التاريخي. كل هذا يتيح لنا فرصة ذهبية للاقترب من حقيقة الأحداث، لاسيما أن موضوعية ثوكيديديس ومنهجيته الصارمة في كتابة التاريخ لا يكاد يختلف عليهما اثنان. وأكبر دليل على ذلك أنه تحدث عن واقعة إخفاقه في إنقاذ مدينة أمفيبوليس -شمال شرق بلاد الإغريق في إقليم تراقيا والتي كانت من أنصار أثينا ومستوطنة لها منذ العام 437 ق.م- من هجوم القائد الإسبرطي برسيداس في العام 424 ق.م. بمنتهى الحيدة والموضوعية. وبرغم أن ذلك الإخفاق قد تسبب في نفيه عن أثينا مدة عشرين عاما حتى انتهاء الحرب فإن ذلك لم يترك في نفسه مرارة ولا حنقا، بل تحدث عن مسؤوليته في سقوط أمفيبوليس بحيادية تامة وبضمير الغائب لا المتكلم².

ولد المؤرخ ثوكيديديس في أثينا، لكن اسم والده يشير إلى أن أصول عائلته تعود إلى تراقيا. وجدير بالذكر أن هناك خلاف حول العام الذي ولد فيه ثوكيديديس، وليس هناك دليل قاطع يحسم هذا الخلاف. وربما يكون قد ولد عام 465 ق.م. أو عام 455 ق.م³. كما أن البعض يرجح أنه ولد عام 460 ق.م. على أية حال، فقد نشأ في ظل عهد بيريكليس ونمو الديمقراطية الأثينية

آنذاك، وقد تأثر توكيديديس كثيرا بهذا القائد الأثيني ويظهر ذلك جليا فيما كتبه عنه في مؤلفه التاريخي⁴.

وقد عمل كقائد عسكري في القوات الأثينية إبان حروب البيلوبونيز ، ولكنه فشل في إنقاذ مدينة أمفيبوليس؛ وتم نفيه بسبب هذا الإخفاق العسكري. وقد أعطى ذلك لثوكيديديس الفرصة المناسبة لزيارة أسبرطة وجمع مادته التاريخية بينما كانت حروب البيلوبونيز دائرة ولم تضع أوزارها بعد. وقد سرد أحداث هذه الحرب حتى عام 411 ق.م، ووافته المنية عام 404 ق.م؛ ومن ثم فإن الشطر الأهم من مؤلفه التاريخي يعد رواية وثائقية لهذه الحرب وما عاصره خلالها أكثر من كونه تاريخا سرديا لها⁵.

يمثل ثوكيديديس المواطن الذي عاش في أثينا الإمبراطورية تحت زعامة بيريكليس إذ يتضح ذلك من قوة أسلوبه وعمق فكره وصرامته القاطعة في حكمه. كما كان رجل عمل وحركة بقدر ما كان رجل أدب وتأمل. فهو أحد "جنرالات" أثينا الكبار الذين خططوا للحرب واشتركوا فيها فعلا. فالأحداث التي يصفها رأها بعينه والظروف التي يتحدث عنها عاشها بنفسه. لقد أحس هذا المؤرخ أن تلك الحرب لن تكون كأي حرب أخرى لأنها صراع حتى النهاية. ولذا بدأ يجمع المواد ويسجل الوقائع، وكرس نفسه لدراساته الميدانية فزار المناطق التي تلاحمت فيها القوات المتحاربة وتفحص مواقع العمليات العسكرية الكبرى فهو عندما يصف الحقيقة يصفها بعين عسكري قدير، يحس بكل حركة ويتفهم كل عملية صادرة من الجيوش المتقاتلة. وأروع ما فيه أنه استطاع أن يطابق الدراسة النظرية بالدراسة الميدانية، ولذا فإن تاريخه أقرب إلى الكمال⁶.

لقد صاغ ثوكيديديس كتابه بأسلوب واضح سلس؛ لدرجة أن العديد من أوصافه للحرب ومعاركها تسيطر على ذهن قارئه. وخير مثال على ذلك روايته الرائعة عن الحملة الأثينية على صقلية 413-415 ق.م. أن هذه الرواية مفصلة للغاية ويمكن الوثوق بها إلى حد بعيد بالمقارنة مع أي مصدر أدبي آخر عنها، لدرجة أنها كانت نموذجا لرواية تاريخية عن الحرب وملابسها أثرت على من جاء بعده من المؤرخين.⁷

يفتخر ثوكيديديس بدقته التاريخية، بينما يسخر من أمثال "هيروdotus" وأسلوبهم الشعري وطريقتهم السطحية في توظيف الأدلة التاريخية. فقد حاول بطريقة علمية مجردة أن يضع تسلسلا زمنيا للحرب عاما تلو الآخر، مع تطلعه وتأكيد على سعيه الحثيث لأن يقدم سردا تاريخيا دقيقا من شأنه أن يبقى أبد الدهر.⁸

ومع أن هناك العديد من الدراسات النقدية التي قدمت في الآونة الأخيرة والتي تنقد منهج ثوكيديديس بشكل حاد، إلا أن مؤلفه التاريخي الشمولي سيظل المصدر الرئيسي الموثوق به الذي رصد بدقة ورؤية تحليلية هذه الأحداث الخطيرة والمعقدة التي شهدتها بلاد الإغريق خلال حروب البيلوبونيز.⁹

ومن الجدير بالذكر أن هناك العديد من الترجمات التي قدمت لهذا العمل التاريخي الكبير لثوكيديديس عن الحروب البيلوبونيزية. ومعظم هذه الترجمات قد أطلقت عنوان "تاريخ الحروب البيلوبونيزية" على هذا العمل التاريخي. بينما أطلق البعض "تاريخ ثوكيديديس"، كما أن البعض الآخر أطلق عليه كتاب "التحقيقات". ولكن بالرجوع إلى ما ذكره ثوكيديديس نفسه في الأسطر الأولى من عمله، فإن التسمية الدقيقة لهذا المؤلف هي: تاريخ حرب البيلوبونيزيين والأثينيين.

“ὁ πόλεμος τῶν Πελοποννησίων καὶ Ἀθηναίων”

حيث يذكر ثوكيديديس نفسه في الأسطر الأولى من مقدمة كتابه :

“Θουκυδίδης Ἀθηναῖος ξυνέγραψε τὸν πόλεμον τῶν Πελοποννησίων καὶ Ἀθηναίων¹⁰”

"أنا ثوكيديديس الأثيني قد كتب حرب البيلوبونيزيين والأثينيين"

ومما يدل على القيمة التاريخية الهامة التي يتمتع بها مؤلف ثوكيديديس أن أول ترجمة إنجليزية له عن الأصل اليوناني قد قدمت في بدايات القرن السابع عشر الميلادي، حيث قدم الفيلسوف الإنجليزي الشهير توماس هوبز ترجمته عام 1615م:

-Thucydides' History of the Peloponnesian War, translated by Thomas Hobbes, London, 1628.

كما ظهرت بعض الترجمات في القرن التاسع عشر من أهمها ترجمة "بنجامين جويت":

-Thucydides, translated into English by: Jowett, Benjamin, Oxford University Press, 1881.

وتوالى العديد من الترجمات لكتاب ثوكيديديس خلال القرن العشرين. ومن الجدير بالذكر أن أسلوب ثوكيديديس يتمتع بالعمق والدقة وبالصعوبة في بعض الأحيان؛ ولذلك أرتأى الباحث أن يرجع إلى النص الأصلي باللغة اليونانية القديمة لكتاب ثوكيديديس محاولا فهم النص وفحواه، والاستعانة بأهم القواميس المتخصصة في اللغة اليونانية القديمة؛ لترجمة ما استعصى على الباحث من مفردات. وبالإضافة إلى ذلك، فقد حاول أن يستفيد من هذه الترجمات العديدة التي قدمت عن ثوكيديديس وأن يقارن بعضها ببعض، وفي الوقت ذاته يعكف على النص اليوناني وترجمة ما به من مفردات

عسيرة مستعينا بالقواميس؛ ليصل بعد كل هذه المقارنات إلى ترجمة عربية تحاول أن تقترب قدر استطاعتها من فهم النص الأصلي لثوكيديديس. وعلى ذلك؛ فقد حاول الباحث أن يستعين بأهم القواميس المتخصصة في اللغة اليونانية القديمة وهي:

-H.G. Liddell and R. Scott 1889: An intermediate Greek-English lexicon, Clarendon Press, Oxford.

-H.G. Liddell and R. Scott 1996: A Greek-English Lexicon, Ninth Edition with a Revised Supplement, Clarendon Press, Oxford.

-Franco Montanari 2018: The Brill Dictionary of Ancient Greek, Brill, Leiden.

وفي الوقت ذاته حاول الباحث أن يستفيد بأهم وأحدث الترجمات التي قدمت لكتاب ثوكيديديس، وأن يقارن بعضها ببعض، وذلك بالتوازي مع العودة إلى النص الأصلي لثوكيديديس. فقد اعتمد الباحث على الترجمة الشهيرة للمصادر الكلاسيكية المعروفة باسم: The Loeb Classical Library والتي تصدر عن جامعة هارفارد، حيث ترجم "تشارلز سميث" في أربعة مجلدات كتاب ثوكيديديس:

-Thucydides, History of the Peloponnesian War, translated by: Charles Forster Smith, Harvard University Press, 1956.

كما استفاد الباحث من ترجمة أخرى ضمن سلسلة (Oxford Classics) المتخصصة في ترجمة التراث الكلاسيكي، والتي تنشرها جامعة أوكسفورد:

-Thucydides, The Peloponnesian War, translated by: Martin Hammond, Oxford University Press, 2009.

واستعان الباحث أيضا بترجمة أخرى لثوكيديديس قدمها "ريكس وارنر":

-Thucydides, History of the Peloponnesian War, translated by: Rex Warner, Penguin Classics, 1983.

وأخيرا اعتمد الباحث كذلك على ترجمة أخرى صادرة عن جامعة كمبودج، قام بها "جيرمي مينوت":

-Thucydides, The war of the Peloponnesians and the Athenians, translated by: Mynott, J, Cambridge texts in the history of political thought, Cambridge University Press, 2013.

ومن الملاحظ أن هذه الترجمة الأخيرة قد التزمت بنفس العنوان الذي أشار إليه ثوكيديديس نفسه في بداية مؤلفه:

“ὁ πόλεμος τῶν Πελοποννησίων καὶ Ἀθηναίων”.

2-أهمية كتاب ثوكيديديس

إن تحليل ثوكيديديس التاريخي للثورات -والوارد في الكتاب الثالث من

مؤلفه حروب البيلوبونيز **ὁ πόλεμος τῶν Πελοποννησίων καὶ Ἀθηναίων**

(حرب البلوبونيسيين والأثينيين)- يشتمل على تأملات

ثوكيديديس الذاتية عن الحقائق التاريخية، وهذه التأملات تعد الأوسع شمولية والأشد عمقاً والأكثر تركيزاً عن بقية ملاحظاته الأخرى الواردة في عمله الكبير.

حيث يعقب ثوكيديديس بأفكاره وملاحظاته الدقيقة بعد عرضه لأحداث ثورة كوركيرا وتداعياتها؛ وذلك في محاولة منه لوضع إطار نظري مميز عن ظاهرة الثورة وتداعياتها في العديد من المدن الإغريقية المختلفة¹¹.

وقد أسهب ثوكيديديس قد أسهب في رصد وتحليل وربط العامل

العسكري المتمثل في اندلاع حروب البيلوبونيز وتأثيره على نشوب الثورات في المدن الإغريقية، وتداعيات هذه الحرب على الأحوال الاقتصادية للمدن والأفراد، وكيف

أثر هذا العامل الاقتصادي على الأحوال النفسية للأفراد، وكيف أحدث هذا العامل النفسي تغييرًا ملحوظًا على السلوك البشري. وبهذا النحو، فقد مزج ثوكيديديس مزجًا بارعًا بين العامل العسكري والاقتصادي والنفسي، وخلص إلى النتيجة المحتومة وراء هذه التغيرات التي أحدثتها الثورات، وهذه النتيجة تأخذنا إلى دور العامل الاجتماعي إبان الثورات، حيث كانت المحصلة النهائية لكل هذه العوامل السابقة هي تداعي واختلال القيم والمفاهيم المتعارف عليها في المجتمعات إبان الثورات.

وقبل أن نستفيض في دراسة هذا الأمر، ينبغي علينا أن نتوقف قليلاً عند جملة محددة استهل بها ثوكيديديس حديثه عن تبدل وتغير القيم إبان الثورات. حيث ذكر ثوكيديديس أن:

“καὶ τὴν εἰωθυῖαν ἀξίωσιν τῶν ὀνομάτων ἐς τὰ ἔργα ἀντήλλαξαν τῇ δικαιοῦσει.”¹²

وقبل أن نحاول تقديم ترجمة لهذه الجملة، يحسن بنا أن نستعرض بعض الترجمات الأخرى، حيث اختلفت ترجمات الباحثين لهذه العبارة.

فقد حاول Warner أن يترجمها على هذا النحو:

"وقد تغيرت المعاني المعتادة للكلمات؛ لتتواءم مع تغير الأحداث"¹³. ومن المرجح أن هذه الترجمة ليست دقيقة. وقد ترجمها Strassler على النحو التالي:

"فقد تغيرت الكلمات المتعارف عليها، واكتسبت ما اصطُبع عليها الآن"¹⁴. ونلاحظ أن هذه الترجمة أيضاً يشوبها شيء من الغموض. وقد صاغها Smith على هذا النحو:

"فقد تغير التلقي المؤلف للكلمات فيما يخص علاقتها بالأشياء طبقاً لما اعتبره الأفراد مناسباً لهم"¹⁵. ويبدو أن هذه الترجمة مُلغزة، وفيها تصرف كبير.

ويذهب Solmsen إلى الاعتقاد بأن ثوكيديديس قد قام بتسجيل ظاهرة لغوية على جانب كبير من الأهمية، إلا وهي تغير معاني الكلمات ودلالاتها. ويعتقد أن معاني الكلمات قد تغيرت بالفعل، وأصبح دلالتها اللفظية ترتبط بأشياء أخرى غير التي كانت تسند إليها في الماضي. وأن هذا التغير مرده تغير الظروف السياسية والاجتماعية المحيطة آنذاك، حيث لعبت هذه العوامل دورها في تغيير دلالات الألفاظ ومعانيها في أذهان الأشخاص، وأصبحت هذه الكلمات تؤدي معانٍ مغايرة لما عما كانت تؤديه في الماضي¹⁶.

وهناك مجموعة أخرى من علماء اللغة حاولت أن تقترب من فهم المعنى الذي أراده ثوكيديديس؛ ومن ثم اعتقدت أن هناك تغير حدث في العلاقة ما بين التعبيرات وما يسند إليها من قيمة دلالية. فقد ترجمها Mynott على النحو التالي: "لقد اعتقد الأشخاص أن لهم الحق في تغيير القيم المألوفة في تطبيق الكلمات على الأفعال"¹⁷.

وقد حاول Hammond أن يصيغها على هذا النحو:

"وقد تغيرت القوة التقديرية المعتادة للكلمات لتناسب تقديرهم الذاتي للأفعال"¹⁸.
ويبدو أن هذه الترجمة في نظر الباحث هي الأقرب للفكرة التي أرادها ثوكيديديس وبناءً على ذلك؛ من الممكن أن نحاول ترجمة هذه الجملة على النحو الآتي:

“καὶ τὴν εἰωθυῖαν ἀξιῶσιν τῶν ὀνομάτων εἰς τὰ ἔργα ἀντήλλαξαν τῇ δικαιοῦσει”.

"وقد تغيرت الدلالة المعهودة للمفاهيم؛ (لتصبح) مسوغاً لتصرفاتهم الذاتية".

أي أن الفصائل السياسية خلال الثورات تحاول أن تحرف الدلالات السابقة للقيم والمفاهيم المتعارف عليها؛ لتفرغ هذه القيم من دلالاتها السابقة وتضفي عليها دلالات أخرى مغايرة بما يخدم تصرفاتهم الذاتية، وبما يتواءم مع سلوكهم الشخصي الذي قد يكون مناقضاً في الأساس لهذه القيم والمفاهيم. والخلاصة، فإن معظم الباحثين الذين أَلَمُوا بنص ثوكيديديس عن الثورات اعتقدوا أن هناك تغير استحدث في معاني الكلمات ودلالاتها، وهو ما دفع (Solmsen) إلى الاعتقاد بأن ثوكيديديس قد قام بتسجيل ظاهرة لغوية على جانب كبير من الأهمية وهي تغير معاني الكلمات ودلالاتها أثناء الثورات. فأصبحت دلالة الكلمات اللفظية ترتبط بأشياء أخرى غير التي كانت تسند إليها في الماضي. وإن هذا التغير مرده تغيير الظروف السياسية والاجتماعية المحيطة آنذاك، تلك المتغيرات التي أحدثتها الثورة.

فقد اكتسبت بعض المفاهيم الإيجابية مغزاً سلبياً، وأخذت بعض المفاهيم السلبية طابعاً إيجابياً. فما كان يوصف قبل الثورة بأنه "جراً متهورة" $\alpha\upsilon\delta\rho\epsilon\acute{\iota}\alpha$ $\tau\acute{o}\lambda\mu\alpha$ $\acute{\alpha}\lambda\acute{o}\gamma\iota\sigma\tau\omicron\varsigma$ أصبح يعد "تحمساً للأنصار" $\phi\iota\lambda\acute{\epsilon}\tau\alpha\iota\rho\omicron\varsigma$ $\pi\rho\omicron\mu\eta\theta\acute{\eta}\varsigma$ $\mu\acute{\epsilon}\lambda\lambda\eta\sigma\iota\varsigma$ أصبح "جبناً بيناً" $\delta\epsilon\iota\lambda\acute{\iota}\alpha$ $\epsilon\upsilon\pi\rho\epsilon\pi\acute{\eta}\varsigma$. ومن المؤكد أنه ما لم تحتفظ الكلمات بمعانيها المألوفة، فلن يكون لهذا التغير في دلالتها ومغزاها أي جدوى. فأولئك الذين أسندوا دلالات جديدة ومختلفة على هذه المفاهيم كانوا يسعون في الأساس إلى الاستفادة من الدلالة المعتادة لهذه الكلمات "الشجاعة الصادقة للحزب" و"الجبن الخادع"؛ من أجل تبرير السلوك المستحدث خلال الثورات، والذي كان يعد حتى الآن سلوكاً بغيضاً ولا يستحق التقدير. وبالتالي، فهم استغلوا الدلالات المألوفة لبعض المفاهيم -سواء الإيجابية منها والسلبية- لتتناسب مع ما يتوافق ومصالحهم الذاتية؛ فانقلبت هذه المفاهيم وأصبح الباطل حقاً، واليهتان فرقاناً. إن ما طرأ

من تغير على بعض المفاهيم هو توظيف واستغلال الأفراد للدلالات السابقة للمفاهيم المتعارف عليها، فقد تخلوا عن دلالتها القديمة واستحدثوا دلالات أخرى مغايرة تخدم مآربهم؛ لأنهم أرادوا تكوين أحكام جديدة على المفاهيم المختلفة المتعارف عليها¹⁹.

وما يؤيد هذا التفسير المطروح لما أراده ثوكيديديس هو ما قام به وفد ميتليني إلى أسبرطة حينما كان يناشد أعضاء حلف البيلوبونيز العون العسكري ومساعدة مدينتهم في ثورتها على السلطات الأثينية²⁰. فقد استهل وفد ميتليني حديثه بالإشارة إلى أنه عندما ثور مدينة على حليفها وتتخلى عنها وهي في غمار حرب ضروس، وتذهب لتتحالف مع الطرف الآخر في هذه الحرب، فإن الحليف الجديد سيكون سعيدًا بانضمام هذا العضو الجديد وسيعده موردًا داعمًا له، ولكن سوف ينظر إليه كذلك نظرة شك وارتياب؛ فمن المحتمل أن يثور هذا العضو الجديد مرة أخرى ويغدر بحليفه الجديد كما غدر وانقلب على حليفه القديم²¹. وهنا بدأ وفد ميتليني في تحريف هذا المفهوم المتعارف عليه حول الصداقة والتحالف بين المدن، ووضع تصور جديد لهذا المفهوم؛ لتسويق مبرراتهم بما يلائم أهدافهم ومبرراتهم. فكان عليهم مواجهة هذا التناقض بين الوفاء بتعهداتهم المزمعة مع أسبرطة ونقضهم لميثاقهم مع أثينا. ومن ثم؛ أخذ الوفد يؤكد أن هذه الطريقة في النظر إلى الأمور ليست عادلة على الإطلاق، فإن كان هناك توافق في السياسة والرأي العام، وتوازن في السلطات والموارد بين المدينة الثائرة والمدينة المهيمنة، فإن الثورة ونقض المواثيق والانشقاق عن التحالف ليس له ما يبرره على الإطلاق. وهنا شدد الوفد على أن مثل هذه الحالة لا تنطبق تمامًا على الوضع بين ميتليني وأثينا؛ ولذلك لا ينبغي لأحد أن يسيئ الظن بميتليني؛ لأنها ثارت في وقت المحنة والحرب، ويتوهم أنها نعمت بالخير من

أثينا وقت السلام، وأنها تنكرت لرغد السلام وتخلت عنها وقت المحنة⁽²²⁾. وهكذا، فإن وفد ميتليني سعى حثيثاً لتحريف المفهوم المتعارف عليه للتحالف والولاء وتجريده من دلالاته وتطويعه وفقاً لمصالحهم وأهدافهم.

وهنا يجب أن نتوقف قليلاً عند جملة مهمة وردت عند ثوكيديديس في هذا السياق وبالتحديد عند مصطلح معين أشار إليه يعد وثيق الصلة بحديثنا عن اختلال المفاهيم والقيم إبان الثورات وهو مصطلح ἄξιως، وهو ذات المصطلح الذي ورد في الجملة التي أشرنا إليها آنفاً والتي أثارت خلافاً بين الدارسين²³. حيث ذكر ثوكيديديس أن وفد ميتليني حينما حاول أن يدفع عن مدينته شبهة نقض عهودها السابقة مع أثينا، ذكر أن تصور البعض بأن المدينة التي انقلبت على حليفها القديمة لن تتمتع بمصداقية لدى حليفها الجديدة، وذكر الوفد أن هذا المفهوم والتصور ليس عادلاً²⁴:

“καὶ οὐκ ἄδικος αὕτη ἡ ἄξις ἐστίν”

"كما أن هذا المفهوم وتلك القيم ليست عادلة بالمرة".

وهنا ورد نفس المصطلح الوارد في الجملة السابقة وهو ἄξις، وجاء بمعنى مفهوم أو تصور؛ ومن ثم فإن هذا المعنى يعد دليلاً على المعنى الذي أشار إليه ثوكيديديس من أن المفاهيم والقيم تختل أثناء الثورات، وليس الأمر متعلقاً بتغير في المفردات اللغوية أو دلالاتها اللفظية.

وهكذا، فإن من يمعن النظر في فهم واستقراء نص ثوكيديديس عن الثورات وما يحوي من مجازات بلاغية وتصويرية وأسلوب لغوي دقيق يربط به ربطاً شمولياً بين أفكار شتى، ويستعين فيه بالعوامل النفسية والاقتصادية والاجتماعية ودورها الفاعل على الفرد والمجتمع، إن من يمعن التفكير في كل هذه

البنية التحليلية المتشابكة لا يمكن له أن يأخذ بالترجمة الحرفية السطحية لهذه الجملة:

“καὶ τὴν εἰωθυῖαν ἀξίωσιν τῶν ὀνομάτων ἐς τὰ ἔργα ἀντήλλαξαν τῇ δικαιοῦσει²⁵”.

بل ينبغي له أن يربطها برؤية ثوكيديديس الشمولية للموضوع، ويجب عليه أن يغوص بعيدًا ليصل إلى المعنى العميق البعيد الذي رمى إليه المؤرخ وهو أن المفاهيم والقيم المتعارف عليها قد تغيرت وتبدلت دلالاتها المعتادة، واكتست ثوبًا جديدًا ابتدعته الأحزاب السياسية المتصارعة خلال الثورات، وحاولت أن تتخذ من هذا التحريف والتبديل مأربًا لخدمة مصالحها؛ لتصور الحق باطلًا وتلبس الباطل ثوب الحق؛ بما يتواءم مع سلوكهم الشخصي، الذي قد يكون مناقضًا في الأساس لهذه القيم والمفاهيم.

وإذا حاولنا كذلك أن نربط بين ما ذكره ثوكيديديس في هذا النص عن غلبة المصالح الذاتية للفصائل السياسية وبين تحريف المفاهيم السائدة، فسيكون لهذا الربط انعكاسًا على فهم ما قصد إليه ثوكيديديس، ونصل إلى النتيجة التي ترتبت على هذا، حيث ذكر ثوكيديديس لاحقًا أن السبب الرئيسي وراء الأهوال والفظائع التي شهدتها العديد من المدن الإغريقية خلال الثورات هو جشع ونهم الأحزاب السياسية وسعيها للوصول إلى السلطة من خلال استخدامها لعبارات خداعة، وزعمها حماية المصالح العامة من أجل تحقيق مصالحها الشخصية المحدودة²⁶. وإذا ما عُقدت موازنة دقيقة بين هذا الجزء وبين الجملة الخاصة بتغير المفاهيم، سيتضح لنا أن الفكرة التي سعى ثوكيديديس لإبرازها هي استغلال الأحزاب السياسية للشعارات والمفاهيم من أجل الترويج لمصالحهم

الذاتية²⁷. وهكذا، يعرض ثوكيديديس -في براعة لغوية ودلالة لفظية- تحليلًا للأسباب وما ترتب عليها من نتائج، وفقًا لقضايا فكرية وسياسية واجتماعية ونفسية لما يحدث في الثورات.

وبعد مناقشة وتفسير ما أراده ثوكيديديس من تغيرات طرأت على المفاهيم ودلالاتها خلال الثورات، يحسن بنا أن نستعرض بقية ما ذكره ثوكيديديس عن هذه التغيرات. فقد حَرَفَ الناس القيم المتعارف عليها، "وتغيرت الدلالة المعهودة للمفاهيم؛ (لتصبح) مسوغًا لتصرفاتهم الذاتية. فقد أصبحت الجرأة المتهورة تحمسًا للأنصار، (في حين أصبح) التهمل الحذر جنبًا بجنبًا، (وصار) الاعتدال ستارًا لعدم التحلي بالرجولة، وأصبح التبصر بكل أبعاد الأمور تقاعسًا عن إدراك أي منها، أما عن الاندفاع بطريقة منفلة (فبات) ينظر إليه (على أنه) مكرومة للرجل، وأصبحت الحيلة من التآمر ذريعة مستساغة للمراوغة"²⁸.

وبعد أن رصد ثوكيديديس هذا التغير والتحريف الخطير الذي انتاب المفاهيم السائدة، إذا به ينتقل إلى التداعيات والنتائج التي ترتبت على هذا الاختلال. حيث يشير إلى أن هذا التغير الذي طرأ على هذه الأفكار في أذهان الأفراد تسرب وتسلل إلى سلوكهم وأفعالهم وانعكس عليها؛ ليصبغ بعض الأفعال بصبغة مخالفة لحقيقتها المعهودة لتتوافق مع مآرب الفصائل السياسية ومصالحهم²⁹. ومن ثم؛ ينال أصحاب الآراء العنيفة المتهورة الثقة والمصداقية، وأي شخص يعترض عليهم يصبح موضع شك ومشتبه به. فقد كان التآمر والتخطيط علامة الذكاء والفظنة، ولكن كان من الدهاء أن تتكهن أيضًا بمؤامرات الأشخاص الآخرين. وإذا حاول المرء تجنب اللجوء إلى هذه الأساليب، فإن المرء كان يتهم بأنه يفكك وحدة الحزب الموالي له ويتصرف بدافع الخوف من المعارضة. وباختصار، كان أمرًا يستحق الثناء سواء أن توجه ضربة استباقية لخصم كان على وشك

ارتكاب خطأ أو إلحاق ضرر بشخص آخر، أو أن يتم التنديد بشخص ليس لديه
أية نوايا لارتكاب أي خطأ على الإطلاق³⁰.

المفاهيم قبل الثورات		المفاهيم خلال الثورات
الجرأة المتهورة τόλμα ἀλόγιστος	←← ← تصبح خلال الثورات	شجاعة صادقة للأنصار ἀνδρεία φιλέταιρος
التمهل الحذر μέλλησις προμηθής	-----	جبنًا بيئًا δειλία εὐπρεπής
الاعتدال وتقدير الأمور τὸ σῶφρον	-----	ستارًا لعدم التحلي بالرجولة τοῦ ἀνάνδρου πρόσχημα
التبصر بكل أبعاد الأمور τὸ πρὸς ἅπαν συνετός	-----	عزوف عن إدراك أي منها ἐπὶ πᾶν ἀργόν
الاندفاع بطريقة منفلتة τὸ ἐμπλήκτως ὀξύ	-----	شيمة من شيم الرجال ἀνδρὸς μοῖρα προσετέθη

عذرًا مقبولًا للهرب ἀποτροπῆς εὖλογος	--	الحيطة من التأمر ἀσφαλεία τὸ ἐπιβουλεύσασθαι
--	-----------	---

وقد ترتب على انتقاء ثوكيديديس الفريد لهذه المعاني وبناءه المركز الموجز للجملة أن دقائق تفاصيل هذا الجزء تحديدًا تبدو غامضة إلى حد ما ولا يتيسر فهم مكنونها بسهولة؛ الأمر الذي أدى إلى اختلاف الباحثين حول ترجمتها- كما أشرنا آنفا. فقد ذكر ثوكيديديس القاعدة الأساسية في بداية جملة كثيفة المعاني بارعة الصياغة، ثم قدم الأمثلة التوضيحية عن الصفات التي يحرفها الأفراد خلال الثورات ويصبغون عليها قيمًا أخرى مغايرة لها³¹.

وهو ما أشار إليه Edmunds، وذلك على النحو التالي³²:

هكذا استخدم الأفراد إبان اندلاع الثورات التعبيرات الموجودة في العمود الأول لوصف السلوكيات الواردة في العمود الثاني. وعلى هذا النحو، فإن أعراض الاضطراب والتخبط الدلالي للمفاهيم تتضح جليًا في تعبيرات العمود الثاني، والتي تستخدم لوصف أنماط السلوكيات الموجودة في العمود الثاني. ويتطلب إدراك هذه الظاهرة وتطورها وجود مفكر يراقب الأمور عن بعد دون أن ينخرط فيها - وهو المؤرخ ذاته؛ كي يكون قادرًا على الحكم بموضوعية ووصف هذه التغيرات بلغة متعارف عليها، والتي بدورها ستؤدي للقارئ المعنى الذي يقصده المؤرخ بدقة³³.

ومن الجائز أن نقول أن ثوكيديديس يتكلم بلسان حاله في العمود الأول، بينما يرصد أصوات الفصائل المتناحرة خلال الثورات في العمود الثاني. ومثل ثوكيديديس في ذلك كممثل طبيب غير مصاب بالحمى وقادر على تشخيص هذيان الحمى ومعرفة أسبابها؛ وعلى هذا المنوال يحكم ثوكيديديس على طريقة تغيير

الناس للمفاهيم الدلالية ومدى ارتباطها بوقائع الأمور، وفي هذه الحالة فإن هذه المفاهيم تتعلق بأنماط السلوكيات والتصرفات التي يقوم بها الأفراد خلال الثورات. وبالتالي، من المفترض أن تتسم الحقائق والوقائع التي تصفها هذه المفاهيم -أحياناً تتسم بالدقة، وفي أحيان أخرى تفتقر إليها- بالموضوعية والحيدة : فعلى سبيل المثال، مفهوم الجرأة المتهورة، فإن التعبير المستخدم لوصف هذا المفهوم يتغير خلال الثورات، ويستطيع المؤرخ المدقق أن يميز -وينقل إلى قرائه- هذا التغير في ذاك المفهوم، فحينما يثني الناس على الآخرين لكونهم يتمتعون "بالشجاعة والإخلاص لأنصارهم" "ἀνδρεία φιλέταιρος"، فإنهم يمدحون في حقيقة الأمر سلوك "الجرأة المتهورة" "τόλμα ἀλόγιστος" وفقاً للمعنى المتعارف عليه لهذه التعبيرات³⁴.

والخلاصة، فإنه من الواضح أن المطابقة والتقابل التي يزخر بها أسلوب ثوكيديديس ليس مجرد زخرف من القول، ولكنها تبرز بشكل جلي تناغم المعاني والأفكار؛ توضيحاً لعمق الفكرة التي يرمي إليها ثوكيديديس، وأنها ليست مجرد إسهاب في عرض مزيد من المترادفات. فنظراً لتنوع وتعدد المترادفات التي استخدمها ثوكيديديس في هذا السياق، على سبيل المثال: "τόλμα"، "δειλία"، "μέλλησις"، "ἀνδρεία". فإن هذا التباين في المعاني يدل بشدة على إظهار الارتباك والخلل الذي أحدثته الفصائل المتناحرة خلال الثورات من خلال تحريفها للمفاهيم ودلالاتها التعبيرية³⁵.

كما أن براعته في توظيف التقابل في المعاني تساعد على إبراز الفكرة بشكل أوضح وأعمق. فمن المتعارف عليه أن اللغة وسيلة اتصال فعّالة تمكن الأفراد من التواصل الاجتماعي والارتقاء بحياتهم، وإقامة معاشهم على أخلاق

وقيم تعارفوا عليها. بيد أن هذه الأداة الحيوية نجدها أيضًا في رواية ثوكيديديس عن الثورات توظف لمآرب أخرى، فإن الأشخاص يستخدمون اللغة في تحريف المفاهيم والقيم الأخلاقية المعهودة³⁶. ومن ثم؛ فإن هذا التضاد يوضح إلى أي مدى تغيرت طبيعة الأشياء وتبدلت أحوالها إبان الثورات.

3- تداعيات اختلال القيم على الروابط الأسرية والاجتماعية والدينية.

ويستدرج ثوكيديديس القارئ وينتقل به من خلال أسلوبه البليغ وأفكاره العميقة لفهم تأثير اندلاع الثورات على اختلال القيم والمفاهيم المتعارف عليها في المجتمع، وكيف يحدث هذا التغيير أولًا: في أذهان الناس وما يخلجها من أفكار وفي نفوسهم وما يضطرب بها من مشاعر، ثم كيف يتحول هذا التغيير ويتسلل إلى أفعالهم وسلوكياتهم. وطالما أن الفرد هو النواة الطبيعية لأي مجتمع إنساني، فإن تغير عقلية هذا الفرد وسلوكه سترتب عليها حتمًا تغير السلوكيات والأوضاع الاجتماعية برمتها. وعلى هذا النحو؛ ينتقل ثوكيديديس إلى تداعيات تبدل القيم وتحريفها على الأوضاع الأسرية والاجتماعية³⁷، وكيف كان لها تأثير هدام. حيث كان هدف الأحزاب السياسية المختلفة هو الوصول إلى السلطة؛ حتى وإن كلفها ذلك الإطاحة بالقوانين والأعراف أو القيام بمؤامرات وأعمال متطرفة دون مراعاة أيّة تحفظات دينية أو اجتماعية. ولما كان النهم والجشع وحب السلطة متغلبًا ومسيطرًا على هذه الفصائل السياسية، فإن رابطة الدم والنسب أصبحت أقل احترامًا وتقديرًا بين الناس، بل أصبح الانتماء للحزب السياسي أكثر قوة وأبعد أثرًا في نفوس الأفراد؛ مما دفعهم إلى القيام بأمور تخل وتتعارض مع تقديس رابطة الدم والنسب³⁸.

وخير مثال على مدى تعاظم التعصب الحزبي على حساب تدهور الروابط الأسرية خلال الثورات هو ما حدث من أهوال ومآسٍ في كوركيра. فعندما

استيقن الديمقراطيون في كوركيلا من قدوم الأسطول الأثيني ووقوفه إلى جانبهم، أوقعوا القتل بقدر كبير من خصومهم وأردوهم صرعى وقتلى. حتى أن هؤلاء الأوليجارخيين الذين لاذوا بالمعابد واحتموا بحرمتها المقدسة لم يسلموا من هذا التنكيل³⁹. بل إن هذا التدخل الخارجي الأثيني زاد من حدة الانتقام والتشفي، فمن المؤكد أن يوريميديون قائد الأسطول الأثيني لم يبذل أية محاولة لوقف أعمال العنف، بل إن ما شهدته كوركيلا من قتل وتنكيل ومذابج للحزب الأوليجارخي قد تمَّ تحت سمع وبصر هذا القائد الأثيني، ومن المحتمل أنه غض الطرف عن هذه الأمور عن عمد وقصد، إن لم يكن قد أوعز للحزب الديمقراطي بذلك⁴⁰.

وعلى هذا النحو؛ فإنه طوال الأيام السبعة التي مكث فيها يوريميديون بصحبة سفنه الستين في كوركيلا، استمر الديمقراطيون ومؤيدوهم في قتل وذبح مواطنيهم الأوليجارخيين. وكانت الاتهامات الموكلة لهؤلاء الضحايا هي التآمر والانقلاب على الحكم الديمقراطي. فسفكت دماء كثيرين بدافع الكراهية والمصالح الشخصية، فقام المدينون بقتل دائنيهم؛ حتى لا يطالبوهم بأموالهم المستحقة. وساد القتل والتنكيل بكل أشكاله وصوره. وفي هذه الظروف العنيفة، فإن الناس قد ذهبوا في تفشيهم وغلهم إلى أقصى الحدود، فقتل الآباء أبناءهم، وخر المتضرعون بالمعابد صرعى وهم يُسحبون خارجها، أو قتلوا في داخلها دون مراعاة لحرمة الأماكن المقدسة⁴¹.

وهذا التصوير الشديد لهذه الأحداث المأساوية يكشف عن الطبيعة الوحشية للثورات وما تجره من ويلات. كما أن سيادة روح التشفي والغل تؤكد أن الذين تعرضوا للهجوم والاضطهاد من خصومهم، يحاولون أن يردوا لخصومهم الصاع صاعين إن تمكنوا منهم ، وأتيحت لهم فرصة الانتقام. كما يكشف ذلك

عن أن الذين يريدون الوصول إلى السلطة لا يأهون في سبيل الوصول إلى ارتكاب أفظع الجرائم بحق خصومهم ومعارضهم⁴². كما تؤكد هذه الهجمات الدموية على أن التعصب والتحزب لفصيل سياسي معين تجاوز كل القيم والأعراف الاجتماعية، بل ألغى حتى الروابط الأسرية في سبيل سحق وإنهاء الفصيل المعارض⁴³.

ومن ثم؛ فإن الصراعات الدامية التي شهدتها العديد من المدن الإغريقية خلال الثورات تقدم دليلاً ونموذجاً على هذا الترابط الشديد بين اختلال القيم والمفاهيم في أذهان الناس وعقولهم، وانعكاسها على سلوكهم وأفعالهم، وصولاً إلى تأثيرها على زيادة وتيرة العنف وتفشي الاضطرابات داخل المجتمع. كما أنها تكشف عن الدور الهدام الذي أحدثته هذه الثورات على بنية المجتمعات الإغريقية ومؤسساتها الاجتماعية والدينية. ففي ظل هذه الظروف القاسية فقدت القيم والأعراف الدينية قدرتها على الإلزام الخلقي لدى الأفراد؛ ومن ثم أُنْهَكَت المقدسات الدينية وضاعت هيبتها وجلالها في نفوس الناس⁴⁴.

زد على ذلك، فإن هذه السلسلة المتواصلة من العنف تبرز جانباً آخرًا وهو انهيار القيم والمبادئ الأولية التي يركز عليها بنيان الجماعات الإنسانية. فإن تفكك الروابط الأسرية وانهيارها إلى الدرجة التي تجعل الآباء يقتلون أبناءهم لا يكشف النقاب فحسب عن انهيار الروابط الأسرية أو احتدام الشقاق الاجتماعي، بل أن هذا الأمر يكشف بجلاء أن القيم الأخلاقية التي تركز عليها -حتى أقل الجماعات البشرية- وهي الاحتماء برابطة الدم والنسب والانتماء لرباط الأسرة والعائلة، هذا المبدأ الأخلاقي لم يستطع الصمود أمام أهوال الثورات. ومن ثم؛ فقد ترتب على انهيار الروابط الأسرية وغياب الرادع الديني. أن تغلبت

المصلحة الذاتية على نفوس الناس وتملكتهم الأنانية على حساب تغليب الصالح العام⁴⁵.

وبعد أن أسهب ثوكيديديس في الحديث عن المساوي التي أملت بالمجتمعات الإغريقية بسبب اختلال القيم والمفاهيم وانعكاس هذا الاختلال على سلوكيات الناس وأفعالهم، ولا سيما تعصبهم الشديد للأحزاب واستعدادهم للقيام بأشنع الأفعال لتحقيق مصالح الحزب، حتى وإن كان ذلك على حساب تفكيك الروابط الأسرية وانهارها. وإن كانت هذه هي حالة الأحزاب السياسية وتصرفات أتباعها، فلا عجب أن يتسم الصراع والشقاق بين هذه الفصائل السياسية بالعنف والغدر. ومن ثم ينتقل ثوكيديديس إلى الحديث عن أجواء الصراع المريرة بين الفصائل السياسية المتناحرة وما ساد هذا الصراع من مشاعر الغدر والتنكيل⁴⁶. فإذا ما تقدم أحد المعارضين باقتراحات عادلة، فإن الحزب الحاكم لن يستقبلها بروح طيبة، بل سيتخذ كل الإجراءات الاحترازية ليثبت أنها عديمة الأهمية. وكانت روح الانتقام أكثر أهمية من مجرد حفاظ الأفراد على حياتهم. وإذا ما تم إبرام اتفاقيات تصالحية، فإن الأطراف المعنية توافق على إبرامها وأداء القسم على احترامها، فقط من أجل مواجهة بعض الصعوبات والتحديات العاجلة، بينما تظل هذه المصالحات سارية ما لم يكن هناك سلاح آخر في متناول اليد، أو لعدم توافر الدعم الخارجي. ولكن عندما تتاح الفرصة المواتية، فإن الطرف الذي يغامر ويستغل هذه الفرصة الجريئة ويأخذ عدوه على حين غفلة من أمره، فإنه يعتقد أن هذا الانتقام الغادر أفضل من المواجهة العلنية؛ فنظرًا لاعتبارات الأمان والسلامة، أصبح الانتصار الذي يتم إحرازه غدرًا وغيلة يمنح المرء ذكاءً فائقًا في تحقيق المكاسب من خلال الغدر وسوء النية⁴⁷. فلم يكن هناك وعد يمكن الوثوق به، ولم يستطع قسم أو يمين ردع الناس؛ ومن

ثم توصل الجميع إلى نتيجة مفادها أنه لا أمل في الوصول إلى تسوية دائمة؛ وبالتالي، فقد كرسوا طاقاتهم لحماية أنفسهم من الهجوم عن طريق المراوغة بإبرام المعاهدات ونقضها في الوقت المناسب لهم، بدلاً من أن يكونوا قادرين على الشعور بالثقة تجاه الآخرين من خلال احترام هذه المواثيق⁴⁸.

وهكذا، فإن ثوكيديديس يشير إلى أن المجتمع الإغريقي قد وصل إلى حالة من انعدام الثقة خلال الثورات. حيث إن العهود والمواثيق كانت مهمة من أجل سيادة الثقة والأمان بين الأطراف التي أقسمت على احترامها. كما أن إبرام هذه المواثيق يعد خاتمة ونهاية للصراع والشقاق، وبداية طيبة لمرحلة مسالمة بين خصمين متنازعين. بيد أن ظروف الثورات القاسية قد شوهت هذا العرف الاجتماعي الراسخ وهو احترام العهود والمواثيق، فبدلاً من أن يتم إبرام المواثيق بدافع السلام وحسن النية، أصبح إبرامها مجرد حيلة من الحيل التي تلجأ إليها الفصائل السياسية؛ لمراوغة خصومها. وعلى هذا النحو، استغلت الفصائل السياسية هذه المواثيق لخدمة مصالحها، وأفسدت ما لهذه العهود من احترام وإجلال في نفوس الناس⁴⁹.

وفي مقابل هذا التدهور الذي لحق بقداسة العهود والمواثيق، فإن اعتبارات الانتقام والتشفي وتصفية الحسابات أصبحت مهيمنة على أذهان الفصائل السياسية، بل إن الرغبة في الانتقام ومباغطة الخصوم على حين غفلة من أمرهم كانت هي الدافع الأساسي وراء نقض المواثيق⁵⁰. ولقد كان الأدهى من ذلك أن هناك ترابطاً فريداً بين نقيضين صارخين ألا وهما:

الأول: هو إبرام المواثيق واحترامها وما تؤدي إليه من خلق حالة أمنة بين الخصوم المتنازعين، والثاني: هو روح التشفي والانتقام التي تشكل وقوداً مستمراً لتجدد الصراع والاقتتال بين الفصائل السياسية.

ومن ثم؛ فإن أقدم حزب سياسي في ظل هذه الأجواء على إبرام اتفاق مصالحة مع غريمه اللدود، فإنه في حقيقة الأمر يراوغ خصمه ويداهنه؛ لأنه لم يلجأ لمثل هذه الوسيلة إلا لأنه لم يستطع أن يتمكن من عدوه ويهزمه شرهزيمة. وعلى هذا النحو، فإن هذا الحزب السياسي قد اضطر إلى التصالح لسببين: الأول: لأنه فشل في هزيمة عدوه، والثاني: وهو الأهم، لأنه اتخذ من التصالح وسيلة مأكرة لتحقيق غاية بعيدة أشد مكرًا وأعظم دهاءً، فهو قد تصالح مع عدوه ليخدعه ويشعره بالأمان والتخلي عن القتال؛ حتى إذا انخدع خصمه بهذه الحيلة وارتكن إلى السلام، أخذه الخصم اللدود على حين غرة، ضاربًا بعرض الحائط كل هذه المواثيق والعهود الموقعة بينهما. وعلى هذا النحو، استخدمت وسائل الصلح والسلام في خدمة غايات خادعة مدمرة.

وفي ظل هذه الأجواء المشحونة بالريبة وانعدام الثقة المتبادل، أصبح الفهم والتروي صفات غير محمودة، وصار التسرع ومباغطة الخصم هما الوسيلة الأنسب للتسلط والتغلب على الآخرين. ومن المفارقة أن الأشخاص الأقل قدرة على الفهم واستيعاب جميع الأبعاد كانت لديهم فرصة للبقاء والتغلب على خصومهم الذين يتحلون بالفهم والتروي والتمهل. فإدركًا منهم لأوجه قصورهم، وشدة ذكاء خصومهم، وخوفًا من تعرضهم للفشل في نقاشهم وجدالهم أمام خصومهم، وحرصًا على ألا يجدوا أنفسهم يقعون في مؤامرات يدبرها خصومهم الأكثر دهاءً؛ فقد لجأ هؤلاء -بناءً على كل ما سبق- إلى اتخاذ إجراءات انتقامية مباغطة. في حين كان خصومهم الذين يبالغون في ثقتهم بأنهم قادرون على اكتشاف أي مؤامرة قبل وقوعها، وأنه ليس من الضروري الاستيلاء بالقوة على ما يمكنهم تأمينه من خلال السياسة والنقاش العقلاني، فإنهم غالبًا ما كانوا يقعون ضحية لقلعة احتياطاتهم وتدابيرهم؛ لأنهم أخذوا على حين غرة، فأصبح من اليسير التخلص منهم⁵¹.

إن ثوكيديديس بشرحه هنا لهذه الفكرة، إنما يؤكد مرة أخرى على الفكرة التي أشار إليها من قبل حينما تحدث باستفاضة عن تبدل القيم واختلالها إبان الثورات. حيث اتضح أن الأشخاص الذين يتسمون بالتسرع والتهور يمكن أن يتغلبوا على الأشخاص الذين يتسمون بالتعقل والتروي والتفكير العقلاني؛ ومن ثم فإن غياب التعقل والتروي أصبح سمة غالبية على الفصائل السياسية آنذاك. وبالتالي فإن ثوكيديديس يتخذ مسلكاً تهكمياً ساخراً في تناوله لهذا الأمر. حيث يمكن تفسير تأكيده على أن الأشخاص الأقل ذكاءً وحنكة هم من يسيطرون على مجريات الأمور في نهاية المطاف؛ لأن هؤلاء الأشخاص كانوا مدفوعين بخوف شديد من قلة كفاءاتهم الذهنية أمام براعة وحنكة خصومهم الفائقة. والمفارقة الشديدة أن هذا الخوف جعلهم أكثر جرأة على محاربة الأمور، ويبدو أن هذا الجنس في أسلوب ثوكيديديس عقلاني ويساهم في فهم الفكرة. وهذه سمات رائعة لأسلوب ثوكيديديس وتستحق التوقف والدراسة.

ومن ثم؛ فإن هذه الفكرة وأسلوبها البلاغي تجعل من تهكم ثوكيديديس -بأن الأشخاص الأقل ذكاءً هم الذين تغلبوا على الأشخاص المحنكين- استنتاجاً مهماً يعكس ظروفًا مضطربة انقلبت فيها طبائع الأشياء⁵². فقد تغير تصور الأفراد لمعنى الذكاء، وتحول من قيمة إيجابية بناءة تستخدم في النقاش العقلاني الرشيد إلى قيمة سلبية هدامة تستخدم كوسيلة مأكرة التخلص من الخصوم والمعارضين، والإطاحة بهم غدراً وغيلة.

أوضح هذا البحث أن ثوكيديديس قد مزج ببراعة شديدة العامل العسكري والاقتصادي والنفسي في قيام الثورات، وأنه بذلك يخلص إلى النتيجة المحتومة وراء هذه التغيرات التي أحدثتها الثورات ويأخذنا إلى دور العامل الاجتماعي إبان الثورات، حيث كانت المحصلة النهائية هي تداعي واختلال القيم والمفاهيم المتعارف عليها في المجتمعات إبان الثورات.

الخاتمة

بمناقشة آراء المؤرخين حول دلالة اللغة في بعض نصوص توكيديديس، أوضحت الدراسة أن هناك ظاهرة لغوية في غاية الأهمية وهي تغيير معاني الكلمات ودلالاتها أثناء الثورات. حيث أن الفصائل السياسية عملت على تحريف الدلالات السابقة المعبرة عن القيم والمفاهيم المتعارف عليها؛ لتفرغ هذه القيم من دلالاتها السابقة وتضفي عليها دلالات أخرى مغايرة بما يخدم تصرفاتهم الذاتية ومصالحهم؛ وبما يتواءم مع سلوكهم الشخصي الذي قد يكون مناقضاً في الأساس لهذه القيم والمفاهيم. وأن هذا الأمر يعد من المتغيرات التي أحدثتها الثورة نتيجة لتغير الظروف السياسية والاجتماعية والنفسية المحيطة آنذاك.

قائمة المصادر والمراجع

-سيد الناصري 1976: الإغريق تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، ص 318.

-محمد السيد عبد الغني 2009: "السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م"، مجلة عالم الفكر، العدد 2، المجلد 38، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 173.

-Barnard, M. A. 1980: Stasis in Thucydides: Narrative and Analysis of Factionalism in the Polis, Ph.D. dissertation, The University of North Carolina at Chapel Hill.

- Cawkwell, G. 1997: *Thucydides and the Peloponnesian War*, Routledge, London, pp. 1-2.
- Connor, W. R. 1984: *Thucydides*, Princeton University Press, pp. 98-99.
- Edmunds, L. 1975: "Thucydides' Ethics as Reflected in the Description of Stasis (3.82-83)", *HSCPh*, Vol. 79, pp. 73-92.
- Freeman, C., 2014: *Egypt Greece and Rome...Civilization of the Ancient Mediterranean*, 3rd. Ed., Oxford University Press, p. 297.
- Gomme, A. W. 1956: *A Historical Commentary on Thucydides*, vol. 2: *The Ten Years' War Books II-III*, Oxford University Press.
- Hogan, J. T. 1980: "The ἀξίωσις of Words at Thucydides 3.82.4", *GRBS*, 21: (2), p.141.
- Hornblower, S. 2003: *A Commentary on Thucydides*, vol. 1: *Books I-III*, Oxford University Press.
- Hornblower, S. and Spawforth, A. 1999: *Oxford Classical Dictionary*, 3rd. Ed., Oxford University Press, p. 1516.
- Kagan 2004: *The Peloponnesian War*, Penguin Books, New York, p. 118.
- MacLeod, C. W. 1978: "Reason and Necessity: Thucydides III 9-14, 37-48", *JHS*, Vol. 98, pp. 64-78.
- Orwin, C. 1988: "Stasis and Plague: Thucydides on the Dissolution of Society", *J. Politics*, Nov., Vol. 50, No. 4, pp. 831-847, p. 837.
- Piovan, D. 2017: "The Unexpected Consequences of War...Thucydides on the Relationship between War, Civil War and the Degradation of Language", *Araucaria*, año 19, n° 37, Primer semestre, p. 182.

- Price, J. J. 2004: Thucydides and Internal War, Cambridge University Press.
- Solmsen, F., 1971: "Thucydides' Treatment of Words and Concepts", Hermes, 99. Bd., H. 4, pp. 385-408, p. 396.
- Thucydides, History of the Peloponnesian War, translated by: Smith, C. F., Vol. 2, Books III-IV, Harvard University Press, 1958, p. 145.
- Thucydides, History of the Peloponnesian War, translated by: Warner, R., Penguin Classics, Penguin Books, Middlesex, 1972, p. 137.
- Thucydides, The landmark Thucydides: a comprehensive guide to the Peloponnesian War, translated by: Strassler, R. B. and Crawley, R., Free Press, New York, 1996, p. 199.
- Thucydides, The Peloponnesian War, translated by: Hammond, M., Oxford World's Classics, Oxford University Press, 2009, p. 170.
- Thucydides, The war of the Peloponnesians and the Athenians, translated by: Mynott, J., Cambridge texts in the history of political thought, Cambridge University Press, 2013, p. 212.
- Tritle, L. A. 2010: A New History of the Peloponnesian War, Blackwell Publishing, West Sussex.
- Wilson, J. 1982: "The Customary Meanings of Words Were Changed' - Or Were They? A Note on Thucydides 3.82.4", Class. Q., New Series, Vol. 32, No. 1, pp. 18-19.
- Yeakel, J. P. 2014: Population Dynamics in Ancient Greek Civil Wars, Insurgencies and Revolts: A System Approach to Stasis, Ph.D. Dissertation, University of Florida.

الهوامش:

- ¹ سيد الناصري 1976: الإغريق تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، ص 318.
- ² محمد السيد عبد الغني 2009: "السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م"، مجلة عالم الفكر، العدد 2، المجلد 38، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 173.
- ³ Hornblower, S. and Spawforth, A. 1999: Oxford Classical Dictionary, 3rd. Ed., Oxford University Press, p. 1516.
- ⁴ Cawkwell, G. 1997: Thucydides and the Peloponnesian War, Routledge, London, pp. 1-2.
- ⁵ Freeman, C., 2014: Egypt Greece and Rome...Civilization of the Ancient Mediterranean, 3rd. Ed., Oxford University Press, p. 297.
- ⁶ الناصري 1976: ص 318.
- ⁷ Freeman 2014: pp. 297-298.
- ⁸ Freeman 2014: p. 298.
- ⁹ Freeman 2014: p. 298.
- ¹⁰ Θουκυδίδης. 1.1.1.
- ¹¹ Hornblower 2003: p. 478; Piovan, D. 2017: "The Unexpected Consequences of War...Thucydides on the Relationship between War, Civil War and the Degradation of Language", Araucaria, año 19, n° 37, Primer semestre, p. 182.
- ¹² Θουκυδίδης. 3. 82. 4.
- ¹³ Thucydides, History of the Peloponnesian War, translated by: Warner, R., Penguin Classics, Penguin Books, Middlesex, 1972, p. 137.
- ¹⁴ Thucydides, The landmark Thucydides: a comprehensive guide to the Peloponnesian War, translated by: Strassler, R. B. and Crawley, R., Free Press, New York, 1996, p. 199.
- ¹⁵ Thucydides, History of the Peloponnesian War, translated by: Smith, C. F., Vol. 2, Books III-IV, Harvard University Press, 1958, p. 145.
- ¹⁶ Solmsen, F., 1971: "Thucydides' Treatment of Words and Concepts", Hermes, 99. Bd., H. 4, pp. 385-408, p. 396.
- ¹⁷ Thucydides, The war of the Peloponnesians and the Athenians, translated by: Mynott, J., Cambridge texts in the history of political thought, Cambridge University Press, 2013, p. 212.

- ¹⁸ Thucydides, The Peloponnesian War, translated by: Hammond, M., Oxford World's Classics, Oxford University Press, 2009, p. 170.
- ¹⁹ Wilson, J. 1982: "The Customary Meanings of Words Were Changed' - Or Were They? A Note on Thucydides 3.82.4", Class. Q., New Series, Vol. 32, No. 1, pp. 18-19; cf. Θουκυδίδης 3.82.4. : *τόλμα μὲν γὰρ ἀλόγιστος ἀνδρεία φιλέταιρος ἐνομίσθη, μέλλησις δὲ προμηθῆς δειλία εὐπρεπής*".
- ²⁰ Macleod 1979: p. 62.
- ²¹ Θουκυδίδης. 3.9. 1-2.
- ²² Θουκυδίδης. 3.9. 3.
- ²³ Hogan, J. T. 1980: "The ἀξίωσις of Words at Thucydides 3.82.4", GRBS, 21: (2), p.141.
- ²⁴ Θουκυδίδης. 3.9.2
- ²⁵ Θουκυδίδης. 3. 82. 4.
- ²⁶ Θουκυδίδης. 3.82.8.
- ²⁷ Hogan 1980: pp. 145-146.
- ²⁸ Θουκυδίδης. 3. 82. 4. : *"καὶ τὴν εἰωθυῖαν ἀξίωσιν τῶν ὀνομάτων ἐς τὰ ἔργα ἀντήλλαξαν τῇ δικαιοῦσει. τόλμα μὲν γὰρ ἀλόγιστος ἀνδρεία φιλέταιρος ἐνομίσθη, μέλλησις δὲ προμηθῆς δειλία εὐπρεπής, τὸ δὲ σῶφρον τοῦ ἀνάνδρου πρόσχημα, καὶ τὸ πρὸς ἅπαν ζυνετὸν ἐπὶ πᾶν ἀργόν: τὸ δ' ἐμπλήκτως ὅζῳ ἀνδρὸς μοῖρα προσετέθη, ἀσφαλεία δὲ τὸ ἐπιβουλεύσασθαι ἀποτροπῆς πρόφασις εὐλογος*".
- ²⁹ Barnard 1980: p. 127.
- ³⁰ Θουκυδίδης. 3.82.5.
- "καὶ ὁ μὲν χαλεπαίνων πιστὸς αἰεὶ, ὁ δ' ἀντιλέγων αὐτῷ ὕποπτος. ἐπιβουλεύσας δὲ τις τυχὼν ζυνετὸς καὶ ὑπονοήσας ἔτι δεινότερος: προβουλεύσας δὲ ὅπως μηδὲν αὐτῶν δεήσει, τῆς τε ἐταιρίας διαλυτῆς καὶ τοὺς ἐναντίους ἐκπεπληγμένους. ἀπλῶς δὲ ὁ φθάσας τὸν μέλλοντα κακὸν τι δρᾶν ἐπηρεῖτο, καὶ ὁ ἐπικελεύσας τὸν μὴ διανοοῦμενον*".
- ³¹ Price 2004: pp. 39-40.
- ³² Edmunds 1975: p. 77.
- ³³ Price 2004: p. 40.
- ³⁴ Price 2004: p. 40.

- 35 Macleod 1979: p. 62.
- 36 Macleod 1979: pp. 55-56.
- 37 Barnard 1980: p. 131.
- 38 Θουκυδίδης. 3.82. 6. “καὶ μὴν καὶ τὸ ζυγγενὲς τοῦ ἐταιρικοῦ ἀλλοτριώτερον ἐγένετο διὰ τὸ ἐτοιμότερον εἶναι ἀπροφασίστως τολμᾶν: οὐ γὰρ μετὰ τῶν κειμένων νόμων ὠφελίας αἱ τοιαῦται ζύνοδοι, ἀλλὰ παρὰ τοὺς καθεστῶτας πλεονεξία. καὶ τὰς ἐς σφᾶς αὐτοὺς πίστεις οὐ τῷ θεῷ νόμῳ μᾶλλον ἐκρατύνοντο ἢ τῷ κοινῇ τι παρανομῆσαι”.
- 39 Θουκυδίδης. 3.81. 2-3.
- 40 Gomme 1956: p. 361; Hornblower 2003: p. 476; Kagan 2004: p. 118.
- 41 Θουκυδίδης. 3.81. 4-5.
- 42 Tritle 2010: pp. 73-74.
- 43 Yeakel 2014: p. 24.
- 44 Connor, W. R. 1984: Thucydides, Princeton University Press, pp. 98-99.
- 45 Connor 1984: p. 99.
- 46 Barnard 1980: p. 135.
- 47 Θουκυδίδης. 3.82. 7.
- 48 Θουκυδίδης. 3.83. 2.
- 49 Orwin, C. 1988: “Stasis and Plague: Thucydides on the Dissolution of Society”, J. Politics, Nov., Vol. 50, No. 4, pp. 831-847, p. 837.
- 50 Orwin 1988: p. 837.
- 51 Θουκυδίδης. 3.83. 3-4. “καὶ οἱ φαυλότεροι γνώμην ὥς τὰ πλείω περιεγίνοντο: τῷ γὰρ δεδιέναι τό τε αὐτῶν ἐνδεὲς καὶ τὸ τῶν ἐναντίων ζυνετόν, μὴ λόγοις τε ἥσους ὥσι καὶ ἐκ τοῦ πολυτρόπου αὐτῶν τῆς γνώμης φθάσωσι προεπιβουλευόμενοι, τολμηρῶς πρὸς τὰ ἔργα ἐχώρουν. οἱ δὲ καταφρονοῦντες κἂν προαισθῆσθαι καὶ ἔργῳ οὐδὲν σφᾶς δεῖν λαμβάνειν ἂ γνώμῃ ἔξεστιν, ἄφαρκτοι μᾶλλον διεφθείροντο”.
- 52 Macleod 1979: p. 59.